



26 سبتمبر 2010

حسن البنا لا يستحق هذا التشويه

عندما يسيطر الغرور على شخص ما، فإنه يضرب بحقوق الآخرين عرض الحائط، وعندما تتحكم العداوة من صدره فلا تنتظر منه سوى الإساءة والتنكيل.. ووحيد حامد الذي يكره كل مولود يولد في الإخوان لا تنتظر أن يتحدث عن فضائل الإخوان ونزاهتهم، وعن عبقرية الإمام وصلاحه.. لقد قدّم من قبل: طيور الظلام، الإرهاب والكباب، الإرهابي، العائلة، دم الغزال- وكلها تسبّ وتلعن الإسلاميين عمومًا، والإخوان على وجه الخصوص.

إدًا لا تنتظر إنصافًا من هذا الرجل المعادي المغرور، الذي غره زمانه الذي صار فيه المنكر معروفًا والمعروف منكّرًا، فأصبحت فيه الراقصة هي السيدة، والمؤمنة هي الخادمة!!، وغرته أموال وإمكانات وسلطات دولة تجفف منابع الدين وتطارد الشباب الطاهر، وتسجنهم وترهبهم، وتسمح- في المقابل- للتافهين الضائعين، بالنجومية والظهور.

كل هذا جعل وحيد حامد يفعل ما يشاء، وقتما يشاء، كيفما يشاء، ولا معقب لقوله (والمتضرر يلجأ للقضاء- على حدّ قوله) إنه لا يرى الضحية التي تنزف، وإنما يرى النعيم الذي سوف يرفل فيه حالما، أجهز عليها وقدّم رأسها قربانًا لأصحابه الجبابرة آلهة الشر.

يقول وحيد- مغتبرًا بنفسه وبسلطان النظام الفاشل-: "ليس من حقّ الإخوان محاسبتي عما اكتبه!!" (الأهرام- ملحق على الهواء: 8/9/2010م" وقد ادّعى- وهذا من الغرور الكاذب- أن يأتي الإخوان بوقعة واحدة تثبت أنه زوّر التاريخ، أنا موافق، ولكن هات لي وقعة واحدة مزورة وحاسبني عليها- "روز اليوسف، 28/8/2010م".

البنا عند وحيد:

صوّر وحيد، الإمام الشهيد- منذ أول حلقة ظهر فيها- بأنه متطرف، عنيف، يُقسّم الناس إلى مؤمنين وكفار، ويعامل غير المسلمين بغلظة وتمييز، وهو لذلك- في نظر وحيد- لا يستحق كل هذا التقدير والاحترام من جانب الإخوان وغير الإخوان.

وهذا كلام كاذب، وإفك افتراه هذا المؤلف على رجل شهد له الجميع بتسامحه، وسلاسته، وسهولته ولينه، وأنه كان إنسانًا رقيقًا، ولم يكن تصادميًا في أي مرحلة من مراحل حياته.. وكان متواضعًا، زاهدًا ورعًا، تقياً نقيًا، عابدًا متبتلاً، صوامًا قوامًا، موصولاً بالله مرتبطًا بالآخرة.. وقد أشرب حب أهله ومجتمعه ووطنه وأمنته.. وكان منفتحًا على الجميع، يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يبشّر ولا ينفر، يبشّر ولا يعسّر.

وصوّر وحيد، الإمام الشهيد، بأنه يمد يده للجميع، ويأكل على كل الموائد، بوالي الملك تارة، والإنجليز تارة، والوفد تارة، يعمل لمصلحته ومن أجل أن يكون زعيمًا، وهو متلون كذاب!!

روبير جاكسون بصف حسن البنا:

وتلك اتهامات تعبّر عن مكنون نفس صاحبها، وما تحمله من غلٍّ وحقدٍ.. وننقل هنا ما جاء على لسان المستشرق الأمريكي "روبير جاكسون" في وصفه لحسن البنا، وفي ردّه الكفاية والدليل.. يقول جاكسون:

فت نظري إلى هذا الرجل سمته البسيط، ومظهره العادي، وثقته التي لا حدَّ لها بنفسه، وإيمانه العجيب بفكرته.

كان الرجل يؤمن بالخصومة الفكرية ولا يحولها إلى خصومة شخصية، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيداء معاصريه ومنافسيه، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربًا عنيفة.

كان يفتقي خطوات عمر وعلي، ويصارع في مثل بيئة الحسين، فمات.

لقد سمعت الكثير من خصومه، وكان هذا طبيعيًا، بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس، بسحر حديثه، وجمال منطقه.. وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والمقاهي ودور اللهو.

ومن الأمور التي لفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله، تلك هي إبعاد الأهل عن معانم الدعوة، فقد ظلَّ عبد الرحمن، ومحمد، وعبد الباسط، وهم إخوته، بعيدين عن كبريات المناصب، ولطالما كان يحاسبهم، كما كان عمر يحاسب أهله، ويضاعف لهم العقوبة إذا قَصُرُوا.

وفي خلال هذه الزيارات- يقصد زيارات المرشد للصعيد- كنت ترى الرجل بسيطًا غاية البساطة، ينام في الأكواخ أحيانًا، ويجلس على (المصاطب) ويأكل ما يُقدَّم له.. لا يحرص إلا على شيء واحد، هو ألا يفهم الناس عنه أنه شيخ طريقة، أو من الطامعين في المنفعة العاجلة.

إنني على ثقة بأن حسن البنا رجل لا ضرب له في هذا العصر، وأنه قد مرَّ في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.

كان واسع الأفق إلى أبعد حدٍّ، يفتح النوافذ للهواء المطلق، فلا يكره حرية الرأي، ولا يضيق بالرأي المعارض، وقد استطاع أن يحمل الرأي الجديد إلى الجماهير دون أن يصطدم بهم.

وكان له من صفات الزعماء، صوته الذي تتمثل فيه القوة والعاطفة، وبيانه الذي يصل إلى نفوس الجماهير ولا تنبو عنه أذواق المثقفين، وتلك اللباقة والحكمة والمهارة في إدارة الحديث والإفناع.

كان سمته البسيط، ولحيته الخفيفة، وذلك المظهر الذي لا تجد فيه تكلف بعض العلماء، ولا العنجهية ولا السذاجة؛ قد أكسبه الوفاق.

ومن أبرز أعمال هذا الرجل، أنه جعل حب الوطن جزءًا من العاطفة الروحية، فأعلى قدر الوطن، وأعز قيمة الحرية، وجعل ما بين الغني والفقير حقًا وليس إحسانًا، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاونًا وليس سيادة، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطًا.. وتلك من توجيهات القرآن، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل.

وحاول الإنجليز أن قدّموا له عروصًا سخية، فرفضها في إباء، ونامت الأحزاب في انتظار الهدنة، وطلَّ الرجل حديدي الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة، لا يتعب ولا يجهد، كأنما صيغت أعصابه من فولاد.

شهادات الأصدقاء والأعداء:

إن حسن البنا الذي ظلَّ وحيد حامد طوال حلقات مسلسل الغاشل ينتقص من قدره، ويزيف تاريخه، باتهامه بالتحايل والنجسية، وينعته بالاضطراب النفسي، ويعف الشخصية، ويتناقض أقواله مع أفعاله، هو من شهد له أصدقاؤه وأعداؤه أنه كان عبقريًا فدًا، قدّم الإسلام بصورة جديدة وشكل جذاب يناسب العصر، وأنه كان مضرب المثل في الصدق والتوازن، والوسطية والاعتدال، في حياته وكلماته.. وكان عالمًا فقيهاً، ملهمًا مبدعًا، قائدًا زعيمًا، مربيًا- رحمه الله.

يقول الشيخ محمد الحامد: "إنني أقولها حرة ولا بأس بروايتها عني، أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف".

لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء الكاتبيين، وقيادة القاندين، وتدبير المدبرين، وحكمة السائسين.

لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين، لكن هذا التجميع لهذه المتفرقات من الكمالات فلما طفر به أحد كالإمام الشهيد رحمه الله.

لقد عرفه الناس وأمنوا بصدقته، وكنت واحدًا من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعًا: هو أنه كان لله بكلية: بروحه وجسده، بقلبه وقلبه، بتصرفاته وتقلبه، كان لله فكان الله له، واجتباؤه وجعله من سادات الشهداء الأبرار.

لا فداية للبنا عند الإخوان:

إن حسن البنا الذي يدعي وحيد أن الإخوان يقصدونه، هو من رباهم على أن يكون ولاؤهم لله دون الناس، وللدعوة دون الأشخاص، وأنه كان واحدًا منهم لا يتميز عنهم بشيء.

في عام 1938م عقد طلاب الإخوان مؤتمرًا بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، وعندما وقف الإمام البنا للخطابة، إذا بأحد الإخوة من الطلاب تجيش عواطفه وتأخذه الحماسة ويهتف بحياة حسن البنا.. وبالرغم من أن الهتاف لم يكن إلا صيحة في فلاة لم تجد من يستجيب لها من الحضور، إلا أن فضيلته وقف صامئًا والأنظار تتطلع إليه وكان شيئًا قد حدث.

وما هي إلا لحظات حتى بدأ حديثه في غضب فقال: أيها الإخوان، إن اليوم الذي يُهتف فيه في دعوتنا لأشخاص لن يكون ولن يأتي أبدًا.. إن دعوتنا إسلامية ربانية، قامت على قاعدة لا إله إلا الله، ولن تحيد عنها أبدًا.

أيها الإخوان: لا تنسوا في عمرة الحماس، الأصول التي آمنا بها وهتفنا لها من كلِّ قلوبنا (الله غايتنا) فأول أهداف هذه الدعوة أن يندكر الناس من جديد، الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم **(يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالذِّبْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21))** (البقرة).

قول الدكتور الطاهر أحمد مكي- رحمه الله- الذي عمل رئيسًا لتحرير مجلة **(أدب ونقد)** البسارية:

أنح لي القرب من البنا امتداد تلك الشهور القليلة، أن أنبين فيه أشياء كثيرة: الذاكرة القوية، فما رأيت مرة إلا وسألني عن أهلي بأسمائهم فردًا فردًا، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة، أو ذكرت أسماءهم أمامه مرة واحدة، وقدرته الفائقة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دومًا، وعفة لسانه، فما رأيت مرة يخوض في سيرة أحد، أو يذكر شخصًا بسوء، معارضًا أو عدوًا، وإنما ينقد ما يراه من زيف وباطل، أو خروج على قواعد الدين، نقدًا موضوعيًا، بشخص الداء، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤلف، ويردد باستمرار: نعمل سويًا فيما اتفقنا عليه وبعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ورأيت يسع قلبه الناس جميعًا، من يكبرونه سنًا، ومن يفوقونه في الوظائف درجات، فضلًا عن دونه عمرا ومقامًا، يهتم بأمرهم، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب.

وحيد يجتهد في تحطيم (أسطورة) البناء:

في الحلقات الثلاث الأخيرة يجند وحيد حامد كل خبراته وطاقاته لتحطيم أسطورة حسن البناء- فهذه الحلقات هي التي ستبقى عالقة في ذهن المشاهد، هكذا تعلم من مهنة الكتابة السينمائية والتمثيل.. ولذا فإنه يبذل أقصى ما يستطيع لإهالة التراب على (فضيلة المرشد)، القزم الصغير!!، الذي يبيع إخوانه حرصًا على مكانته وسلطانه، فيقدم من أجل ذلك التنازلات، ويكتب ضد زملائه البيانات والتقارير، وينذل للمسؤولين، بل ويبكي بكاء النساء.

ولا يتورع وحيد من أجل تحقيق هدفه.. أن يكذب كذب الشياطين (فالبناء- في الحلقة- غاب عن ذهنه قضية فلسطين، فيتقدم الدكتور محمود عساف بفكرة اهتمام الإخوان بالقضية أمام الرأي العام للتغطية عما اقترفه التنظيم الخاص بمقتل الخانديار!!).

كما لا يتورع في- ختام المسلسل- عن تعطيل حواسه، وعلى تغييب نفسه عن الواقع، كي يمرر مشهد تلاشي أسطورة حسن البناء، بخروجه من بطولة العمل ضائعًا مسكينًا.. نادمًا على اشتغاله بالسياسة.

والله، إن حسن البناء لا يستحق أبدًا هذا التشويه، بل يستحق أن تسمع الدنيا لما قال، وتفعل مثلما فعل، وأن تسير على خطاه إن أرادت لنفسها العزة والكرامة، والنزاهة والفضيلة.. لقد سُئل يومًا عن نفسه فقال: "أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحريّة والاستقرار، والحياة الطيبة في ظلّ الإسلام الحنيف.. أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادي **(إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُورِثُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163))** (الأنعام)".

وهو الذي قال:

"ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وأمالهم إن كان فيها الغناء.. وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا، وأسالت مدامعنا، وإنه لعزير علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس، فنحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يومًا من الأيام".

فهل بعد هذا كله يسبه (وحيد حامد) بأمر السلطة هذا السب الشنيع، ويستخرج حسناته فيجعلها سيئات بعدما أفضى الرجل إلى ما قدّم؟!.. اللهم أنت الحكم العدل، فاحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

من نقد الإخوان إلى نقد الإسلام:

من الواضح أن وحيد حامد منزع جدًا من الصحة الإسلامية، ويزداد انزعاجه كلما رأى أثر ذلك في سلوك الناس وفي حياتهم العامة.. إنه يخشى من تحول الأنظمة العلمانية الحالية إلى أنظمة إسلامية تطبق شعار (الإسلام هو الحل)، ويزداد هلعه واضطرابه كلما ترددت على مسامعه كلمة (الخلافة).. إن هذا يعني انتهاء العلمانية إلى الأبد.

والمسلسل- بالنسبة لوحيد- فرصة ذهبية للتشكيك في هذه الصحة ومظاهرها، وفي الخلافة وما يعقبها، بل والتحذير من (التخلف والبداءة) إذ استبدلنا الأنظمة الحالية بأنظمة إسلامية.

يطرح وحيد في مسلسله نموذجًا لأسرتين مسلمتين، باعتبارهما يمثلان (الإسلام المستنير) في مقابل (المتخلفين) الذين ينمسكون بالهدى الظاهر.. هاتان الأسرتان المسلمتان هما أسرة المستشار كساب (عزت العلابي) وحفيدته (يسرا اللوري)، وأسرة سوسن بدر وابنها حسن الرداد.. فهؤلاء الأربعة لا يشك أحد في إيمانهم!!، مع العلم أن البنت ترندي ملابس خليعة، وتحادث الولد تليفونيًا في الثالثة صباحًا، وتسافر معه وحدها، وتخرج معه في أنصاف الليالي.. وهم لذلك: (انيكيت)، متفوقون، وجهاء ذوو سلطة، مثقفون (تخيل خطيبًا وخطيبته ليس وراءهم حديث سوى الإخوان وأحوال مصر السياسية)، أما التي ترندي الحجاب (منة شلبي) فهي فقيرة، معدمة، مهمومة، تقبل الصدقة، وكذلك التي ترندي النقاب، فإنها (شغالة) أمّية، سافلة، لها ماضي مخزٍ قبل هذا النقاب، ليس لها أي حقوق، فزوجها المعدم- يبدو غبي الشكل والعقل- يجبرها على خلع النقاب والعودة للعمل، وهي تعيش حياة ذليلة لا أمل في الخروج منها.

مشاهد مؤذية لجميع المشاهدين:

ومنذ الحلقة الرابعة وحتى الرابعة والعشرين- أي على مدار عشرين حلقة- يخرج وحيد لدقائق من أحداث المسلسل الأصلية، ليصدم المشاهد بجملة أو اثنين التحذير من خطر انتشار الصحوة، ثم يعود إلى نصّه الأصلي.. ومما لا شك فيه أن تلك الجمل على سرعتها إلا أنها كانت مؤذية أشد الأذى للمشاهد العادي، وكانت في الوقت ذاته سببًا في انصراف الناس- إضافة طبعًا إلى الكذب الصريح- عن المسلسل، بل ومهاجمته.

استطعنا حصر تلك اللقطات التي بلغت (18) لقطة، وبتترك للقارئ الكريم الحكم على صاحبها: السخرية من النقاب (الحلقتان: الرابعة والسابعة)، والطمع في أخلاق من ترتدينه، وأنه سبب التخلف والجهل والفقر- وهو ليس من الإسلام، وعلى من تلبسناه أن يبحث عن يَبْصُرُهُنَّ بما هنَّ عليه من خطأ!!، لأنه عادة بدوية.

الطمع في الخلافة الإسلامية (الحلقات: 15، 16، 17، 18، 19، 24)، ليس فيها ما يسر، لم تحكم بالعدل، لم تقدم شيئًا يُذكر، لا يوجد في الإسلام شيء اسمه الخلافة سوى فترة الخلفاء الراشدين!!، تعني الاستبداد والظلم.

الطمع في المتدينين عمومًا (الحلقات: 4، 20) يكذبون دائمًا، يتحايلون على الناس، يريدون مصر غبية متخلفة، سرقوا مصر من أهلها!!.

السخرية من العلماء والدعاة والأزهريين (الحلقات: 4، 9، 16)، يتاجرون بالدين، الدين عندهم (سبوية) انتهازيون، حافدون، يمكن شراء أحدهم بعشوة!!، كذابون، شهبانيون، ناقضو عهود، يقولون ما لا يفعلون، يتميزون بضحالة الفكر وقلة العلم، لا يعرفون شيئًا عن الوطن والمواطنة.

التنغير من اللحية وأصحابها (الحلقة الرابعة)، ليست علامة للتقوى والإيمان (الكفار كانوا بدقون).

التشكيك في ذمة جامعي الزكوات والتبرعات (الحلقة الخامسة)، بالطبع من أجل تعطيل الفريضة وأعمال البر في المجتمعات الإسلامية.

الطمع في الدولة الأموية، والحزب الوطني الذي أسسه الزعيم مصطفى كامل وكانت له توجهات إسلامية، والطمع في الأحزاب الدينية عمومًا (الحلقات: 13، 16، 22).

هل استفاد وحيد من المسلسل؟!

أود أن أشير في البداية إلى أن مسلسل وحيد حامد لم يكن أول عمل يحاول تشويه الإخوان، ولن يكون الأخير.. ووحيد من فرط جهله لا يعلم أن أي أخ منتم للإخوان، لا يحمل هذا الشرف إلا إذا آمن إيمانًا لا شك فيه أنه سوف يصبح هديدًا للأشخاص المنحرفين والحكومات الفاسدة والعميلة، وأن جماعته سوف تكون مرمى لسهام كل من يكرهون الإسلام ويعادون شريعته.

إن حملات النيل من الجماعة بدأت مبكرًا بعدما صارت الدعوة وصاحبها خطرًا على المستعمر والأحزاب وأنظمة الحكم.. فكان منطقيًا أن تتألب هذه القوى على الإخوان، وأن تكيد لهم، وأن تصطنع معهم حروبًا، كل على شاكلته.. فلم يتركوا انهماكًا حتى اليوم إلا ألقىوه بالجماعة، ولم يتركوا مجالًا دخل فيه الإخوان إلا ضيقوه عليهم.. لكن هذه الاتهامات الكاذبة لم تكن الإخوان يومًا عن المضي في طريقهم، ذلك ليقينهم أن هذا أمر طبيعي في تاريخ الدعوات، فما من صاحب رسالة إلا أودي وعرضه قومه للضيق والعت.

وفي هذا يقول الإمام حسن البنا: "أحب أن أصارحكم أن دعوتكم ما زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فما زلتم مجهولين، وما زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد.. سيفج جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم.

وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)) (العنكبوت).. ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصره المجاهدين، ومثوبة العاملين المحسنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ نَجَاتٍ يُجَازِيَنَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا تَصَدَّقَ مِنَ اللَّهِ وَقَدْ قَرَّبَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِجِينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ مَا نَعْبُدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ مَا نَعْبُدُ فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَذُوبِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)) (الصف)، فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله".

إن الإخوان يشفقون على وحيد وأمثاله، الذين يضيعون أوقانهم فيما لا طائل من ورائه، وهم- أي الإخوان- على قناعة تامة أن هذا العمل وغيره يصب في صالح الجماعة.. فإن ما يتعرضون له من حملات تشويه، وتعذيب، وتنكيل، ومصادرات وسائر التضيقات- يجعل العقيدة الإسلامية راسخة في قلوبهم، وهو ما يوحد مشاعرهم ويقوي رابطتهم.

رصيد كبير بشهادة الأصدقاء والأعداء:

ي هذا المسلسل تحديداً- وبشهادة الأعداء والأصدقاء- قد استفاد منه الإخوان، وأضاف للجماعة رصيذاً كبيراً.

لقد صارت كلمة (الإخوان) تتردد على كل لسان، وأعاد المسلسل بذلك اسم الجماعة إلى الضوء- كما قال الأستاذ فهمي هويدي (الشروق: 12/9/2010م) ليهدم بذلك الجهد الذي بذلته وزارة الداخلية طوال السنوات الأخيرة؛ حيث أصدرت تعليماتها لكل من يهجم الأمر بالكف عن ذكر اسم الإخوان، والاكتفاء باستخدام مصطلح (المحظورة) في الإشارة إليهم، حتى إنها وجهت عتاباً للمجلس القومي لحقوق الإنسان؛ لأنه تجرأ وذكر اسم الإخوان المسلمين صراحة في أحد تقاريره قبل سنتين، ولم يلتزم بالتوجيه!!

تحولت أفكار الإخوان ومبادئهم إلى موضوعات للمناقشة، في الصحف والمنتديات وسائر وسائل الإعلام، ولو بذل الإخوان مجهوداً كبيراً من أجل ذلك ما استطاعوا أن ينجزوا ما أنجزه المسلسل، بتوصيله خطابات ومقررات الإخوان إلى المشاهد العادي- وعن طريق تليفزيون الدولة الذي حُرِّموا من الظهور عليه ضيقاً أو عاملين.

المسلسل وَّجَدَ الإخوان للردِّ على المسلسل؛ حيث أوجد حالة من الغضب داخل الصف؛ للكذب المجافي للحقيقة التي يعيشونها، وهذا ما استنفر الشباب للزود عن جماعتهم ومؤسستها، وقد جعلهم هذا الحدث أكثر ثقة في جماعتهم وقادتها، ونفرتهم- في المقابل- في الحكومات الفاسدة ومن يخدمها أو يتبنى أفكارها أو يدور في فلكها.

إذا كان الإخوان خائفين من تأثير المسلسل على المُشَاهِد العادي، فربما حدث العكس- فأحداث المسلسل أقتنعتهم بأن الإخوان في الأصل دعاة إلى الله، وأنهم ارتكبوا أخطاء في الوسائل التي استخدموها لبلوغ ذلك الهدف النبيل.. والإقبال على شراء كتب الإخوان وخصوصاً كتابي: مجموعة رسائل حسن البناء، ومذكرات الدعوة والداعية، يدل على أن المسلسل قد جذب كثيرين، وأثار فضولهم من أجل تحري الحقيقة.

الشعب المصري يتعاطف دائماً مع من تهاجمه السلطة، وهو على يقين أن الإعلام الرسمي كاذب، يشوه صورة معارضيه ولا يعرض إلا عملاً يصب في مصلحة الحكومة.. ومسلسل يجمع صورة ضباط أمن الدولة لا شك سيلقى العزوف من جانب المشاهد الذي يحمل في عقله ووجدانه كراهية عمياء لهؤلاء الناس وحكومتهم.

المسلسل جاء في توقيت مهم (قُبيل الانتخابات) وقد اعتبره البعض ومنهم د. رفعت السعيد- تذكيراً للناس بالإخوان وأفكارهم وتوجهاتهم.. كما جاء في توقيت أهم (شهر رمضان الكريم)؛ حيث يلتحم الإخوان بالجمهير، ويتعرفون إليهم عن قُرب- وبقليل من الجهد تتحول مشاهد المسلسل من مشاهد كراهية للجماعة إلى إعجاب بالإخوان وإشادة بجهودهم من جانب هذه الجماهير.

تعاطف غالبية من شاهدوا المسلسل مع الإخوان، لما أظهره وحيد حامد من موقف عدائي ضد التيار الإسلامي عموماً، وقيامه بغمز ولمز الدعاة والأزهريين، وتشكيكه في بعض السنن والمظاهر الإسلامية.

مهما شوّه المسلسل حسن البناء، فلن يستطيع لعلم الجميع من هذا الرجل، ولا شك سيكون هناك معجبون به من الشباب الذين لم يسمعوا به، مقدرين لدوره الدعوي وجهاده الذي لم ينكره المسلسل، باحثون عن تاريخه وأفكاره.. فورد الرابطة، وهذه عقيدتنا.. وغيرهما من أفكار البناء مما شاهدناه في المسلسل، دليل كاف على سلامة فهم الرجل، وربانيته وإخلاصه.

إن لفظ (الجماعة) الذي اتخذهُ المؤلف اسمًا لمسلسله، مقبول شكلاً ومعنى، فيد الله مع الجماعة، والجماعة هم من يكونون على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحيد يكذب.. ولا يتجمل!!

لم أر في حياتي شخصًا بجرأة وحيد حامد، ولم أدر حتى الآن كيف حصل على هذه الجرأة.. إنه يكذب الكذبة الكبيرة، ويجادل فيها كأنها الحق بعينه، ولو أنه يفعل ذلك ثم يتجمل لصار مقبولاً، باعتبار هذا التصرف ليس غريباً على كثير من الشخصيات العامة.. إلا أنه لا يفعل ذلك، ويصر على الكذب بدون دليل، رغم ما يواجه به من أسانيد تُبطل ادعاءاته.. ولنضرب مثلاً اثنين لهذا الأمر:

في حوار مع "الشروق" (12/9/2010م)، ادعى أنه لم يشوه صورة أحد من الإخوان المعاصرين، ولما سأله المحرر عن المشاهد التي ظهر فيها المرشد السابع محمد مهدي عاكف وقد بدا في صورة مضحكة، أكد- بجرأته المعهودة- أنها ليست له، مضيفاً: "أنا لم أقدم مرشداً، الناس ظننت أنني قدمت شخصية المرشد محمد مهدي عاكف، لكنني لم أقدمه على الإطلاق، وأنا شخصياً احترم هذا الرجل، لأنه عفوي وجاد وصريح".

يليرد الآن القارئ الكريم على هذا (الرجل).. تخيلوا: لم يقدم الأستاذ عاكف على الإطلاق!!.. وهو يحترم هذا الرجل!!.

أما الكذبة الكبرى التي يدافع عنها فهي قوله: إن الإخوان لا يتعرضون للتعذيب في مقار أمن الدولة!!.. صرح بذلك- وبلهجة حادة- أكثر من مرة.

ففي "روز اليوسف" (28/8/2010م) قال: "أتحدى أي إخواني، من كبيرهم لصغيرهم أن يقول لي أنه تم تعذيبه في أمن الدولة".

ويقول في موضع آخر من هذا الحوار: "وأنا أريد (ذكر) من جماعة الإخوان يقول لي أنا تم تعذيب في أمن الدولة.. وأنا لم أكن أعرف أن نسبة كبيرة من الإخوان (ضلالية) ولا يقولون الحق".

وفي الشروق (12/9/2010م) قال: "وكما عاهدت نفسي، فقد توخيت عما يحدث الآن في استجوابات أمن الدولة، والتنقيت مجموعة من الإخوان الذين تعرضوا للاعتقال وسألتهم عما يحدث معهم، فوجدت أنه لا يوجد أي نوع من التعذيب يحدث لهم، وهي شهادة مجموعة من الإخوان أنفسهم، حتى إن أحدهم قال لي بالحرف: إن أمن الدولة يقدم للناس الشاي والمشروبات الساخنة، لكن السجن حتى لو كان في قصر سوف يظل سجنًا".

وقد ادعى في حوارات أخرى أنه سأل الدكتور عصام العريان عن تعرض الإخوان للتعذيب من عدمه، فأكد له العريان أنه لا يوجد تعذيب الآن، رغم المرات العديدة التي اعتقل فيها!!.

ونحن نؤكد له أن مجموعة الإخوان التي التقاها، لا بد أنها من جماعة أخرى غير جماعة الإخوان المسلمين، قد يكونون من الإخوان الكذابين، أو من إخوان الحكومة، أو حتى من إخوان وحيد، لكن من المؤكد أنهم ليسوا من الإخوان المسلمين؛ لأن غالبية أعضاء الإخوان تعرضوا للسجن والاعتقال، ومنهم من ذاق تلك المرارة مرة واثنين وعشرين مرة، وإذا كانت جماعة من الإخوان لم تعتقل فإنها على علم بما يجري لإخوانهم المعتقلين الذين زاد عددهم على 30 ألفاً في السنوات العشر الأخيرة، تعرضوا فيها لشتى أنواع التعذيب البدني والنفسي، بدءاً من الضرب الخفيف، مروراً بالصعق الكهربائي في الأجزاء الحساسة، وانتهاءً بالقتل.

إنه كان وما زال هناك اعتقالات، واقتحامات، وانتهاكات، وتعذيب وتجاوزات، بشكل يومي.. ناهيك عما وقع على أفراد الجماعة من محاكمات عسكرية جائرة، ومن قطع أرزاقهم والتضييق عليهم في معاشهم ومشاريعهم الاقتصادية، وتعمد تعطيلها وإثارة الشبهات حولها.

ولو أراد وحيد أن أدله على (دكر) بل على مئات منهم ليؤكدوا تعذيبهم، أو أن أسرد أنا له مئات المآسي- بالمستندات- لفعلت، وآخرها لشاب جاري كسروا ضلعه وأحرقوا ساقه، وكان في نيتهم إخراجه بعد هذه الجريمة، غير أبغوه حتى تلتئم الجراح العديدة التي أحدثوها في جسده.

وهل لم يسمع وحيد بطبيب الغيوم الذي أيد البرادعي، ولمجرد أنه من الإخوان (شرحوه) حتى تم نقله لإحدى المستشفيات بين الحياة والموت؟!.

وأنا لا أشك في صدق كلام وحيد الذي نقله عن الدكتور عصام العريان، فإذا كان الدكتور عصام لا يعذب، باعتباره شخصية عامة، فإن مئات الإخوان يعذبون في مقار أمن الدولة الذي أنشئت خصيصًا لهم.. وإذا كان الدكتور عصام لم يتم حرقه بالكهرباء، فإن الشارع الذي يسكن فيه تحول ذات مرة أثناء القبس عليه إلى ساحة عسكرية تشبه ساحات الحرب الحقيقية، كان البطل فيها ضباط وجنود أمن الدولة الذين أمروا جميع سكان الشارع بإغلاق أبوابهم عليهم، ثم دخلوا بيت الدكتور عصام فكسروا باب شفته وشقق أقاربه بطريقة همجية، وأمروا جميع من في البيت إما بالانبطاح أرضًا أو النظر في الحيط.. وقد اقتيدت المجموعة التي تم القبس عليها في شقة الدكتور عصام بطريقة إرهابية ما زال أهل المنطقة يتحدثون بها.

بل أؤكد لوحد أن التعذيب طال نساء الإخوان- في زمن عزت فيه الرجولة، وصارت هناك تجاوزات عديدة- أرعجت قيادة الإخوان- في حق هؤلاء الفصليات، كالضابط (الشهم) الذي اقتاد إحدى الزوجات معه أثناء القبس على زوجها وهي بملابس البيت.. ثم ألقاها الساعة الثالثة صباحًا وفي فصل الشتاء في منطقة زراعية مهجورة تبعد عن بيتها عدة كيلو مترات.

وإذا نزلنا على رأي وحيد وافترضنا- جدلاً- أن الإخوان لا يتم تعذيبهم، فهل ما يجري لهم داخل أقسام الشرطة وفي النيابات والسجون لا يعد تعذيبًا نفسيًا رهيبًا لهم، وهم أكثر الناس التزامًا واحترامًا؟!، وهل تلغيق القضايا ضدّهم ومصادرة أموالهم وفصلهم من أعمالهم لا يُعدّ تعذيبًا؟!.

إجع يا وحيد ما جرى أثناء انتخابات الشورى الأخيرة؛ لتعلم أنك تكذب وتكذب.. ورغم ذلك لا تتجمل.